فقد تولد عن التناقض بين هاتين الخاصتين انقسام المجتمع الى طبقتين متعارضتين من حيث المصلحة المادية .

ان مساهمة المستثمرين اليهود في كفاح البروليتاريا الاوروبية قد شكل خطرا بالدرجة الاولى على مصالح الطبقات المستثمرة في المجتمعات الراسمالية وخلق أساسا موضوعيا لتلاقي مصالح هذه الطبقات مع مصالح الفئات اليهودية البرجوازية التي مارست سابقا السيطرة على جماهير اليهود الكادحة داخل اطار الجيتو . لهذا فقد أصبح لجميع الفئات المستثمرة سواء كانت مسيحية أم يهودية في أوروبا مصلحة مشتركة في منع عملية الاندماج وفرض العزلة على جماهير اليهود الكادحة وتحويلها من قوى ثورية تدعم الحركة العمالية الى قوى مضادة للثورة واعادة اخضاعها من جديد لسيطرة البرجوازية اليهودية تحت شعارات ومفاهيم تتلاءم وروح العصر .

وحول دعم الرجعية الاوروبية لعزلة اليهود ومنع اندماجهم كتب ف. ا. لينين عام ١٩٠٣ متسائلا : « هل يمكننا ان نرجع الى الصدفة هذه الحقيقة القائلة بأن القوى الرجعية في اوروبا كلها ولا سيما في روسيا تتكاتف جميعا ضد اندماج اليهودية ومن اجل تعزيز عزلتها »(٣).

ولا بد من التأكيد على ان فكرة عزل اليهود ومنع اندماجهم في الوسط الذي يعيشون فيه وتهجيرهم خارج اوروبا قد ارتبطت منذ القدم بمصالح الطبقات المستثمرة في اوروبا وخاصة تلك التي تسلمت زمام السلطة في الدول العظمى صاحبة الاطماع في السيطرة والتوسع على حساب الشعوب المتخلفة في آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية . فقد جرت محاولات جدية ومحددة في هذا الشأن قبل نشوء الحركة الصهيونية تحت زعامة هرتزل بزمن طويل . وبقصد الاستشهاد وليس الحصر نقدم بعض الامثلة على ذلك :

« فبموافقة الشركة الهولندية هندو غربية وتحت حمايتها تم تسليم جوزيف نونيز وآخرين غيره الاراضي الصالحة للزراعة في جزيرة كوراساوة عام ١٦٥٢ لاقامة مستعمرة يهودية هناك . لكن المحاولة لم تكلل بالنجاح »(٤).

وفي عام ١٦٥٤ فكرت بريطانيا جديا في مسألة توطين اليهود في مستعمرتها سورينام كما أن فرنسا أعلنت عن رغبتها في ذلك الحين حول استيطان اليهود في كينيا .

ولقد كانت الامبراطورية الفرنسية أول من حاول جديا تهجير اليهود الى فلسطين بقصد الاستيطان وذلك اثناء زعامة نابليون بونابرت لاهداف استراتيجية عام ١٧٩٩ . الا أن فشل حملة نابليون على سوريا وفلسطين كان احدى الاسباب الرئيسية المباشرة لعدم نجاح تلك المحاولة . وقد علق الكاتب السوفياتي يوري ايفانوف على محاولات فرنسا وبريطانيا المتعددة استخدام تهجير اليهود لصالح توطيد مركزيهما الاستعماري قائلا :«فاذا كانت محاولات المستعمرين الفرنسيين في استخدام اليهود لتحقيق مآربهم في الشرق الادنى يمكن اعتبارها فصلا تاريخيا لم يكتب ؛ فان جهود الاوساط الحاكمة الانكليزية في هذا السبيل كانت عملية تنفيذ لمخطط محكم »(٥).

يتضح من الامثلة السالفة الذكر ان فلسطين لم تكن المنطقة الوحيدة التي كان عليها ان تستخدم كمكان لاقامة الجيتو اليهودي الجديد المعبر عنه بطريقة حديثة نسبيا تلاءمت وروح العصر آنذاك وهو اصطلاح « المستعمرة اليهودية » . والادب السياسي الصهيوني يقدم لنا أمثلة محددة على ان هنالك أمكنة أخرى في افريقيا وامريكا الجنوبية كانت مجالا (موضوعا) ليس للبحث وحسب بل وللنشاط العملي في هذا السبيل .

وانطلاقا من الحقائق التاريخية المعروفة يمكننا القول ان الانتباه قد تركز على فلسطين في الفترة التي ابتدأت فيها الامبراطورية العثمانية بالضعف والتفكك ، حيث أخذت القوى